

العشيرة في سوريا إلى الواجهة مجدداً.. العكيdas وزعيماها جمیل الـهفل نموذجاً

كتبه ورد فراتي | 3 ديسمبر, 2019



طالاً شكلت العشائر فاعلاً مهماً في التحولات الاجتماعية والسياسية في سوريا، منذ أواخر العهد العثماني وحق نشوء الدولة السورية الحديثة في ظل الانتداب الفرنسي وما تلاها في عهد الاستقلال.

إلا أن هذا الدور غاب تدريجياً عن المشهد السوري -كما غاب دور كل شيء تقريباً- في ظل حكم نظام البعث وعائلة الأسد، ليشهد انتعاشًا مؤقتاً مع انطلاق الثورة السورية في عام 2011، ربما لتعطش أبناء العشائر لتفعيل دورها، أو لسعى المشيخة التقليدية لها للتواجد مجدداً على خارطة التأثير السوري، حيث احتفظت بعض العشائر ببيوت مشيختها كقيادة رمزية وإن لم تمارس دور تمثيل حقيقي لأبنائها؛ فظهرت عدد من التشكيلات العسكرية والسياسية الثورية المبنية بشكل أساسي على المكون العشائري، وهو ما دفع نظام الأسد [للتركيز](#) على ولاء المشيخة التقليدية له عبر عدد من المؤتمرات واللقاءات التلفزيونية، كما فعل تنظيم داعش ذلك لاحقاً بمؤتمرات البيعة من مشايخ العشائر في المناطق الخاضعة لسيطرته، وهو ما فعلته قسد والدولة التركية لاحقاً في رعاية كيانات سياسية تمثيلية للعشائر.

إلا أن دوراً حقيقياً لأي من العشائر لم يبرز حتى أواسط العام الجاري (2019)، إبان الحراك الشعبي في منطقة "الجزيرة" بريف دير الزور الشرقي على الضفة الشمالية الشرقية لنهر الفرات وريف الحسكة الجنوبي -والذي عادت فيه العشيرة إلى الواجهة مجدداً بقيادات تنتهي لعوائل المشيخة التقليدية، وبفاعلية ملحوظة في التنظيم والتأثير.

جميل الـهفل قبل الثورة وخاللها وأثناء سطرة داعش

ينتمي جميل رشيد الـهفل (في الستينيات من عمره) إلى بيت المشيخة "الـهفل" من فرع البو كامل في عشيرة العكيdas، ومنذ توليه ابن عمه خليل الـهفل ابن "عبد جدعان الـهفل" لشيخة العشيرة وجميل يعتبر أبرز منافسيه داخلها على المشيخة، وفيما تتواجد مضافة "خليل الـهفل" في "بلدة ذبيان" التي تشكل مع ريفها ناحية في منطقة "الجزيرة" على ضفاف الفرات، يتخد جميل رشيد الـهفل من قرية "مويلح" التابعة لناحية "الصور" مقراً لضافته.

جاءت الثورة السورية لتعزز الانقسامات داخل بيوت المشيخة التقليدية للعشائر في محافظة ديرالزور، فانحاز القليل من شيوخ العشائر إلى الثورة، فيما فضل كثير منهم البقاء إلى جانب النظام، أما جميل الرفل فقد سجل موقفاً متذبذباً!

دعم نظام الأسد مشيخة "عبد الرفل" ومن بعده ابنه "خليل" بمنحهما مقعداً في مجلس الشعب، إلا أنه كان يرضي جميل الرفل بأدوار محلية يستطيع من خلالها تعزيز مكانته لدى أبناء العشيرة في منطقته.

جاءت الثورة السورية لتعزز الانقسامات داخل بيوت المشيخة التقليدية للعشائر في محافظة ديرالزور، فانحاز القليل من شيوخ العشائر إلى الثورة، فيما فضل كثير منهم البقاء إلى جانب النظام، أما جميل الرفل فقد سجل موقفاً متذبذباً!

الاجتماع في قرية موilyح قبيل اقتحام قوات الأسد لدير الزور رمضان 2011

فبعد ظهوره باتصال هاتفي على قناة "وصال" في برنامج الشيخ "عدنان العرعور" معلناً وقوفه إلى جانب الثورة، عاد لتحتمع بشار الأسد مع وفد من الفعاليات الأهلية لمحافظة ديرالزور، ليعود مرة أخرى مستضيفاً في قرية موilyح مطلع شهر آب عام 2011 عدداً من شيوخ ووجهاء العشائر والناشطين من ديرالزور قبيل اجتياح جيش الأسد للمحافظة، فيما يفترض أنه اجتماع لتقرير إعلان المقاومة المسلحة ضد قطعات الجيش التي تتحرك لاقتحامها؛ وهو ما ترك رد فعل سلي تجاهه لدى ثوار المنطقة الذين طردوه من تشيع الشهيد "فاروق الرفل" في مدينة ديرالزور أواسط شباط عام 2012.

ومع سيطرة تنظيم داعش على الشرق السوري، التزم عدد من شيوخ العشائر-ومنهم جميل الرفل- منازلهم متجنبين الشأن العام ومتحاوبين مع سلطة التنظيم، وهو ما كافأه التنظيم بمنحهم دوراً وسيطاً من خلال بعض أمرائه لتابعة قضايا أبناء العشيرة، فحضر "جميل الرفل" جلسة صلح رعاها التنظيم بين أبناء عشيرة "البو عزالدين" وعشيرة "البوكامل" من سكان "الشحيل"، احتفاظاً من التنظيم له بمكانته الرمزية.

ما بعد داعش

بعد سيطرة قوات قسد مدعومة بالتحالف الدولي على منطقة "الجزيرة" من محافظة ديرالزور، استأثر المكون الكردي ممثلاً بوحدات حماية الشعب بحكم المنطقة، مع دور هامشي للمكون العربي رغم تواجد كتلة عسكرية وازنة ضمن قوات قسد منه، ممثلة بمجلس ديرالزور العسكري، وبعشرات

المجموعات والكتائب العربية المنضوية داخل التشكيلات المختلفة لقوات قسد، فتابعت الاتهامات بحق المكون العربي، دافعة الأهالي إلى احتجاجات واسعة بدايات العام الجاري واجهتها "قوات قسد" بحملات اعتقالات في هجين والشعبة والباغوز، ليستضيف "جميل المفل" في مضافته في "مويلح" أواسط شهر نيسان اجتماعاً لوجهاء العشائر طالبوا فيه قسد بالإفراج السريع عن المعتقلين خلال أيام، وفي حال لم تتجاوب قيادة قسد مع مطالبهم فسيتم تشكيل وفد من العشائر لقابلة قوات التحالف الدولي في قاعدة حقل العمر النفطي، إضافة إلى سحب المقاتلين من أبناء العشائر المنضمين إلى قوات قسد.

استمرت احتجاجات أهالي ريف ديرالزور الشرقي في منطقة الجزيرة من العرب على حكم قسد وإجراءاتها التعسفية، مخلفة حالة من التوتر بين الطرفين وصلت ذروتها يوم الخميس في 9 أيار، حين ارتكبت قوات قسد مدعومة بطيران التحالف الدولي مجزرة في قرية الشحيل راح ضحيتها تسعة من أبناء العكيدات، ليعقد وجهاء العشيرة اجتماعاً طارئاً بعدها بأربعة أيام في القرية المنكوبة، مصدرين بياناً تلأه “جميل الهرل” طالبوا فيه بالإيقاف الفوري للاعتقالات التعسفية، وإخلاء الخدمات خصوصاً من النساء والأطفال، والشيوخ، وإطلاق سراح المعتقلين بتقارير كبدية.

إلا أن أهم ما جاء في [البيان](#) هو مطالبتهم قوات التحالف الدولي بتسليم إدارة المناطق العربية لأبنائهما كما هو الحال بالنسبة للأكراد، وضم غرب الفرات إلى شرقه بعد طرد الميليشيات الإيرانية والروسية منه، معريين عن استعدادهم للتعاون مع قوات التحالف الدولي في هذا المسعى بما يملكونه من مؤهلات عسكرية وسياسية وأمنية وإدارية.

الاهتمام الدولي

جاء البيان الذي أصدرته عشيرة العكيدات جريئاً في مطالبه، ومتجاوزاً سلطة قسد بتوجيهه مطالبه مباشرة إلى التحالف الدولي، وهو ما أثار ردود أفعال متباينة، ففي الوقت الذي فضلت فيه قيادة قسد التزام الصمت وتتجاهل البيان، أسرع التحالف الدولي إلى احتواء الموقف عبر حليفه السعودي، ليقوم وزير الدولة السعودية لشؤون الخليج "ثامر السبهان" [\[زيارة\]](#) مفاجئة إلى ريف ديرالزور الشرقي أواسط حزيران من العام الجاري، التقى فيها مع ممثلين عن التحالف الدولي مسؤولي الإدارة المدنية في ديرالزور التابعة لقسد، إضافة إلى عدد من شيوخ العشائر في المنطقة، واعداً بدور أكبر للعشائر في المستقبل القريب.

كما قام وفد أمريكي ضم "جيمس جيفري" المبعوث الأمريكي الخاص إلى سوريا، والسفير الأمريكي "وليم روباك"، و"بلاك ميران" قائد الجيش الأمريكي في سوريا والعراق، بعقد اجتماع في حقل العمر النفطي مع مسؤولي الإدارة المدنية المشتركة في ديرالزور ومع ممثلين عن العشائر هما "حاجم البشير" عن عشيرة البكاره و"جميل الهمل" عن عشيرة العكيدات، وللذان أكدا على مطالب البيان الصادر في شهر أيار إبان مجزرة الشحيل، متلقين ردوداً إيجابية من الوفد الأمريكي.

تميز "جميل الهمفلي" عن كثير من شيوخ العشائر ببقائه في منطقة تواجد أبناء عشيرته طوال الأعوام السابقة، وتحت سلطة مختلف الأطراف التي تعاقبت سيطرتها عليها، بدءاً بنظام الأسد ومروراً بالجيش الحر وجبرية النصرة وتنظيم داعش وانتهاءً بقوات قسد.



ليلتزم "جميل الهرل" موقف أبناء عشيرته مبتعداً عن مواقف مشابهة، رغم انتشار أخبار تفيد بتواصله مع القوات الروسية لتنسيق دخولها إلى المنطقة بعد انسحاب التحالف الدولي، وهو ما نفته عدة مصادر محلية.

للمرة الأولى يُعلن عن منصب رسمي لجميل الهفل في عشيرة العكيدات، كما أنها المرة الأولى التي يتم فيها الحديث عن بنى هيكلية تنظيمية وتمثيلية داخل

العشيرة، دون أن تسجل أي اعترافات على ما جاء في البيان من قبل شخصيات أو أطراف أخرى في العشيرة.

ومع تأكيد "ترمب" انسحاب قوات بلاده من سوريا -الذي تراجع عنه لاحقاً- وحديث قسد عن تسليم مناطقها للقوات الروسية والإيرانية، أرسل السفير الأمريكي "جيمس جيفري" رسالة إلى العشائر العربية في الرقة وديرالزور أواسط تشرين الأول، مطمئناً إياهم أن القوات الأمريكية والتحالف الدولي متزمنون بحماية مناطقهم، ليعقد "جميل الـرهـل" بعدها بيومين اجتماعاً في مضافته في موبلح لعدد من وجاهـاء العـكـيـدـاتـ لكن هذه المرة بـمـسـمـيـاتـ مـخـلـفـةـ.

فقد جاء في بيان مصور أن الشيخ جميل الـرهـلـ "رئيس مجلس قبـيلةـ العـكـيـدـاتـ" قد دعا إلى اجتماع لـ"ـمـجـلسـ القـبـيـلـةـ وـالـهـيـئـةـ الـعـلـيـاـ"ـ فيها لـنـاقـشـةـ كـافـةـ التـطـوـرـاتـ الـتـيـ تـحـدـثـ فـيـ الـنـطـقـةـ،ـ وـاتـخـاذـ مـوـقـفـ مـوـحـدـ لـلـقـبـيـلـةـ تـجـاهـهـاـ،ـ حـيـثـ اـتـفـقـ الـجـمـعـمـوـنـ عـلـىـ دـعـوـةـ "ـمـجـلسـ شـوـرـيـ قـبـيـلـةـ العـكـيـدـاتـ"ـ الـكـوـنـ مـنـ أـكـثـرـ مـنـ 400ـ عـضـوـ"ـ لـاجـتمـاعـ مـوـسـعـ فـيـ الـأـيـامـ الـقـادـمـةـ لـنـاقـشـةـ التـطـوـرـاتـ،ـ وـاتـخـاذـ الـتـدـابـيرـ الـلـازـمـةـ.

للمرة الأولى يُعلن عن منصب رسمي لجميل الـرهـلـ في عـشـيرـةـ العـكـيـدـاتـ،ـ كـماـ أـنـهـ الـرـةـ الـأـوـلـىـ الـقـيـ يـتـمـ فيـهاـ الحـدـيـثـ عـنـ بـنـيـ هـيـكـلـيـةـ تـنـظـيـمـيـةـ وـتـمـثـيـلـيـةـ دـاـخـلـ الـعـشـيرـةـ،ـ دـوـنـ أـنـ تـسـجـلـ أيـ اـعـتـرـافـاتـ عـلـىـ ماـ جـاءـ فـيـ الـبـيـانـ مـنـ قـبـلـ شـخـصـيـاتـ أوـ أـطـرـافـ أـخـرـىـ فـيـ الـعـشـيرـةـ.

لم يعقد حق الان اجتماع "ـمـجـلسـ شـوـرـيـ قـبـيـلـةـ العـكـيـدـاتـ"ـ الـذـيـ أـعـلـنـ الـبـيـانـ الـمـصـورـ عـنـهـ،ـ وـتـرـاجـعـتـ الـقـوـاتـ الـأـمـرـيـكـيـةـ عـنـ قـرـارـ اـنـسـحـابـهـاـ مـنـ شـرـقـ الـفـرـاتـ،ـ بـلـ قـامـتـ بـيـنـاءـ قـوـاعـدـ عـسـكـرـيـةـ جـديـدةـ بـعـضـهـاـ فـيـ رـيفـ دـيرـالـزـورـ الشـرـقـيـ الغـيـ بالـنـفـطـ الـخـامـ،ـ وـمـعـ رـفـضـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ أـبـنـاءـ العـكـيـدـاتـ لـلـقاءـ "ـإـبرـاهـيمـ خـلـيلـ الـرـهـلـ"ـ بـشـخـصـيـاتـ أـمـنـيـةـ مـنـ نـظـامـ الـأـسـدـ فـيـ دـيرـالـزـورـ،ـ إـضـافـةـ إـلـىـ توـتـرـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـقـوـاتـ الـأـمـرـيـكـيـةـ بـعـدـ تـنـفـيـذـ الـأـخـيـرـةـ لـعـمـلـيـةـ أـمـنـيـةـ فـيـ بـلـدـةـ ذـيـبـانـ رـاحـ ضـحـيـتـهـاـ اـثـنـانـ مـنـ أـبـنـاءـ عـمـومـتـهـ فـيـ مـواـجـهـةـ مـعـهـاـ،ـ تـبـدوـ حـظـوظـ "ـجـمـيـلـ رـشـيدـ الـرـهـلـ"ـ كـبـيرـ بـقـيـادـةـ عـشـيرـةـ العـكـيـدـاتـ،ـ وـذـلـكـ بـعـدـ تـمـكـنـهـ مـنـ حـشـدـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ وـجـهـائـهـاـ حـولـهـ وـتـفـعـيلـ دـورـهـاـ محـليـاـ،ـ وـمـاـ حـظـيـ بـهـ مـنـ عـلـاقـةـ جـيـدةـ مـعـ الـقـوـاتـ الـأـمـرـيـكـيـةـ فـيـ الـنـطـقـةـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـفـتـحـ الـبـابـ وـاسـعـاـ أـمـامـ "ـجـمـيـلـ الـرـهـلـ"ـ لـلـعـبـ دـورـ هـامـ فـيـ الـتـطـوـرـاتـ الـمـسـتـقـبـلـةـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـشـهـدـهـاـ الـنـطـقـةـ.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/35107>